النطاق لنشر ما يوصف بأنه معركة بين داود وجوليات انتصر فيها « الضعيف » أو « ضحية الظلم » . وبهذه الطريقة وخلال فترة من الوقت ، أخذ الاسرائيليون والكثيرون من اليهود خارج الدولة يكسبون ثقة في قدرة الاسرائيليين على القتال وبسالتهم(٤). ولكن عندما ولّد هذا الموقف ثقة مفرطة في النفس وغطرسة ، صار الزعماء اليهود يستخفون بالعدو ، ويتجاهلون خيارات الحل الوسط الممكنة ، ويغالون في تقدير قدرة قواتهم على الرد السريع والفعال في حالة حربية ، ويستخدمون اقوالا طنانة رنانة ومبالغا فيها واحيانا كاذبة في مخاطبة شعبهم وفي مخاطبة العدو — وهو شبيه الى حد ما بالسلوك الذي بدر من بعض الزعماء العرب في ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ومرة ثانية في ١٩٦٧(٥).

واذا ما تحولنا على وجه التخصيص الى الفترة التي تسبق مباشرة حرب تشرين ، نجد ان الاسرائيليين وأنصارهم الغربيين ، وبخاصة الاميركيين ، نظروا الى الحالة على هذا النحو . لقد كان موقف الاسرائيليين من العرب داخل اسرائيل وخارجها هو موقف التشامخ ، وخصوصا بعد حرب ١٩٦٧ . فالعربي لم يكن جنديا صالحا في نظرهم ، فهو لم يكن فعالا ولا شجاعا . والامر الاكثر مدعاة للقلق هو الشعور بأن العربي في هذه الصفة وغيرها من الصفات ليس من المحتمل ان يتغير لفترة مقبلة من الوقت — هذا اذا تغير على الاطلاق . وكما لاحظ ا.ف.ستون فمن سخرية القدر ان يكون شعب قاسى قرونا من الاذلال والقمع والاضطهاد كجماعة أقلية قد ابتدأ ، حالما صار أكثرية في اسرائيل ، يطور موقف « التشامخ المزدري »(٦). والامر الاهم بكثير ما ينطوي عليه هذا من سخرية هو الخطر الذي يشكله على السلام والثمن الذي كان على الاسرائيليين أنفسهم ان يدفعوه لمثل هذا الخطأ في التقدير .

وفقا للرأي الاسرائيلي — الغربي الذي كان سائدا آنذاك ، لم يكن العربي جنديا رديئا فحسب بل ان آلة القتال العربية بأسرها كانت منظمة غير فعالة(٧). وزعم ان سبب هذا يعود الى نقص ما في البنية النفسية العربية بحيث ان اعتزاز العربي « بالفردية » وتوكيده عليها يعنيان ان العمل التعاوني في منظمات كبيرة مثل القوات المسلحة يصعب ، ان لم يكن يستحيل ، المحافظة عليه لفترات طويلة من الوقت . وبالاضافة الى ذلك ، كان هذا الرأي يستشهد بحساسية العرب للنقد ، وعدم استعدادهم لنقل الاخبار السيئة وسيطرة الولاءات البدائية (أي القبلية والعشائرية والعائلية) عوض الولاءات القومية « كدليل » اضافي على عجز العرب عن تأليف قوة مقاتلة فعالة(٨). وكان يعتقد انه اذا كان من الصعب تحقيق هذا الهدف ضمن أية دولة عربية محددة ، فمن غير الممكن توقع مثل هذا التعاون على نطاق واسع يشمل العالم العربي بأسره . وبكلام آخر ، كان من غير الممكن للعرب ان يتحدوا في معركتهم ضد اسرائيل وانصارها بصرف النظر عما اذا كان السلاح الذي وقع الاختيار عليه عسكريا او اقتصاديا ، أي النفط . وفي ما يتعلق بقضية المقاطعة النفطية بنوع خاص ، قبلت الولايات المتحدة على وجه التخصيص بالرأي الاسرائيلي القائل ان البلدان العربية المنتجة للنفط كانت «محافظة» ولن تنضم ، على الارجح ، الى الدول العربية «المتطرفة» في حظر النفط ضد الغرب . وثمة عنصر أخير يكمل الصورة القديمة للنظرة الاسرائيلية والغربية الى العرب ، وهو ان العرب لا يسعهم كتمان الاسرار . ولذا كان يجادل بأنه حتى ولو لم تكن الافتراضات الاخرى حول الاعمال العربية المحتملة ، فان أي تحضير للحرب من جانب العرب سيتسرب خبره الى الغرب والاسرائيليين(٩).

وبالاضافة الى جميع الافتراضات المغلوطة السالفة الذكر ، كان هناك افتراض ربما